



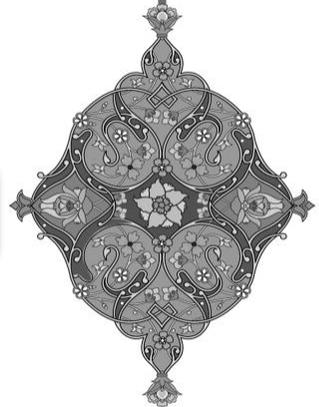
أهل الفضائل

تأملات في خطبة المتقين (١٩٣)

الشيخ محمد حسن الحبيب

وولبسهم الاقتناء

٣



وملبسهم الاقتصاد

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ﴾.

قال أهل اللغة: الملبس والملابس، هو: كل ما يلبس من ثياب ونحوها.

وفي الاستعمال ورد في معان متعددة منها:

قوله تعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ

لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾. سورة البقرة، آية ١٨٧.

جاء في التبيان أن معناها هو: أنهن يصرن بمنزلة اللباس، وقال قوم:

معناه هن سكن لكم. (١) وفي الميزان: الظاهر من اللباس معناه المعروف

وهو ما يستر به الإنسان بدنه، والجملتان من قبيل الاستعارة. (٢)

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾. سورة النبا، آية ١٠.

اللباس غطاء ساتر مماس لما ستر، فالليل ساتر للأشخاص بظلمته

مماس لها بجسمه الذي فيه الظلمة. (٣) ويمكن القول إن المراد هو

السكن.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ

شَاكِرُونَ﴾. سورة الأنبياء، آية ٨٠.

قيل أن المراد من اللبوس الأسلحة بمختلف أنواعها كالدرع و السيف و

الرمح، ولكن الظاهر من الآية هو الدرع وقد علمه الله لنبيه داوود عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ

التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِّنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. سورة الأعراف، آية ٣٦.

وهنا ذكر اللباس المادي والمعنوي أي لباس التقوى وشبه الأخير

بالأول من جهة درء الأخطار وأيضا التنزين به.

وأيضاً استعمل في الجوع والفقير فجعلاً لباساً فيقال: فلان تدرع الفقر ولبس الجوع، وغيرها من الاستعمالات.

والملبس في كلمة الإمام عليه السلام لا يراد منها هذه الاستعمالات المتعددة وإنما المعنى الحقيقي لها وهو ما يوارى الجسد وما يتعلق به من أمور للستر أو الوقاية أو الزينة كالعباءة والمعطف وغيرها.

والاقتصاد: هو التوسط بين التقتير والإسراف.

• روايات اللباس

بعض الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام

في أمر اللباس تحت على التقشف في أمر اللباس، وبعضها قد يفهم

منها خلاف ذلك وقبل أن نعلق على هذا الأمر نستعرض بعضها منها:

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقد بلى ثوبه فحمل إليه اثني عشر درهماً. فقال: ﴿بَا عَلِيُّ خُذْ هَذِهِ الدَّرَاهِمَ فَاشْتَرِ لِي ثُوباً أَلْبَسُهُ﴾ قال علي عليه السلام: ﴿فَجِئْتُ إِلَى السُّوقِ فَاشْتَرَيْتُ لَهُ قَمِيصاً بِأَثْنِي عَشَرَ دِرْهَمًا وَجِئْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ يَا عَلِيُّ: غَيْرِ هَذَا أَحَبُّ إِلَيَّ أَتَرَى صَاحِبَهُ يُعِيلُنَا؟﴾

فقلت: ﴿لَا أَذْرِي﴾. فقال: ﴿أَنْظُرْ﴾ فجئت إلى صاحبه فقلت إن رسول الله

ﷺ قد كره هذا يريد ثوباً دونه فأقلنا فيه فرد علي الدراهم وجئت به إلى

رسول الله ﷺ فمشى معي إلى السوق ليبتاع قميصاً فنظر إلى جارية

قاعدة على الطريق تبكي فقال لها رسول الله ﷺ: ﴿مَا شَأْنُكَ؟﴾ قالت: يا

رسول الله إن أهل بيتي أعطوني أربعة دراهم لأشتري لهم بها حاجة

فضاعت فلا أجسر أن أرجع إليهم. فأعطاها رسول الله ﷺ أربعة دراهم

وقال ارجعي إلى أهلِكَ. ومضى رسول الله ﷺ إلى السوق فاشتري قميصاً

بأربعة دراهم ولبسه وحمد الله وخرج فرأى رجلاً عرياناً يقول: من كساني

كساه الله من ثياب الجنة. فخلع رسول الله ﷺ قميصه الذي اشتراه وكساه السائل ثم رجع إلى السوق فاشترى بالأربعة التي بقيت قميصا آخر فلبسه وحمد الله ورجع إلى منزله وإذا الجارية قاعدة على الطريق فقال لها رسول الله ﷺ :

﴿ مَا لَكَ لَا تَأْتِينَ أَهْلَكَ؟ ﴾ قالت: يا رسول الله إني قد أبطأت عليهم وأخاف أن يضربوني. فقال رسول الله ﷺ : مري بين يدي ودليني على أهلك فجاء رسول الله ﷺ حتى وقف على باب دارهم ثم قال: ﴿ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الدَّارِ ﴾ فلم يجيبوه! فأعاد السلام فلم يجيبوه! فأعاد السلام فقالوا: عليك السلام يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فقال لهم: ﴿ مَا لَكُمْ تَرَكْتُمْ إِجَابَتِي فِي أَوَّلِ السَّلَامِ وَالثَّانِي؟ ﴾ قالوا:

يا رسول الله سمعنا سلامك فأحببنا أن تستكثر منه فقال رسول الله ﷺ : ﴿ إِنَّ هَذِهِ الْجَارِيَةُ أَبْطَأَتْ عَلَيْكُمْ فَلَا تُؤَاخِذُوهَا ﴾ .

فقالوا: يا رسول الله هي حرة لممشاك. فقال رسول الله ﷺ : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا رَأَيْتُ اثْنِي عَشَرَ دِرْهَمًا أَغْظَمَ بَرَكََةً مِنْ هَذِهِ كَسَا اللَّهُ بِهَا عُرْيَانَيْنِ وَأَعْتَقَ بِهَا نَسَمَةً ﴾ . (٤)

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام أتى البزازين فقال لرجل: ﴿ بِعْنِي ثَوْبَيْنِ ﴾ .

فقال الرجل: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك فلما عرفه مضى عنه فوقف على غلام فأخذ ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، فقال: ﴿ يَا قَبْرُ خُدِّ الَّذِي بِثَلَاثَةٍ فَقَالَ أَنْتَ أَوْلَى بِهِ تَصْعَدُ الْمُنْبَرِ وَتَخْطُبُ النَّاسَ فَقَالَ وَأَنْتَ شَابٌّ وَلَكَ شَرُّ الشَّبَابِ ﴾ . (٥)

قال أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ رَفَعْتُ مِدْرَعِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَقَالَ لِي أَفْذِفْ بِهَا قَدْ فَ الأُتْنِ لَا يَرْتَضِيهَا لِيَرْتَضِيَهَا فَقُلْتُ لَهُ عَزْبٌ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى وَتَنْجَلِي عَنَّا غَلَاثُ الْكُرَى﴾. (٦)

روي عن يوسف بن إبراهيم أنه قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعلي جبة خز وطيلسان خز فنظر إلي فقلت جعلت فداك علي جبة خز وطيلسان خز فما تقول فيه؟ فقال عليه السلام: ﴿وَمَا بَأْسٌ بِالْخَزِّ﴾. قلت: وسداه إبراهيم؟

قال عليه السلام: ﴿وَمَا بَأْسٌ بِإِبْرَيْسِمٍ﴾. فَقَدْ أُصِيبَ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَعَلَيْهِ جُبَةٌ خَزٌّ. ثم قال: ﴿إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا بَعَثَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَى الْخَوَارِجِ فَوَاقَفَهُمْ لَبَسَ أَفْضَلَ ثِيَابِهِ وَتَطَيَّبَ بِأَفْضَلِ طِيْبِهِ وَرَكِبَ أَفْضَلَ مَرَاجِيهِ فَخَرَجَ فَوَاقَفَهُمْ فَقَالُوا يَا ابْنَ عَبَّاسٍ بَيْنَا أَنْتَ أَفْضَلُ النَّاسِ إِذَا أَتَيْتَنَا فِي لِبَاسِ الْجَبَابِرَةِ وَمَرَاجِيهِمْ فَتَلَا عَلَيْهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قَالُوا لَبَسَ وَتَجَمَّلَ فَإِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ وَلْيَكُنْ مِنْ حَلَالٍ﴾. (٧)

سئل إسحاق بن عمار الإمام الصادق عليه السلام بقوله: يكون للمؤمن عشرة أقمصه؟ قال عليه السلام: ﴿نَعَمْ﴾. قلت: عشرون؟

قال عليه السلام: ﴿نَعَمْ﴾. قلت: ثلاثون؟ قال عليه السلام: ﴿نَعَمْ﴾. لَيْسَ هَذَا مِنَ السَّرْفِ إِنَّمَا السَّرْفُ أَنْ تَجْعَلَ ثَوْبَ صَوْنِكَ ثَوْبَ بَدْلِكَ﴾. (٨)

وروي أن سفيان الثوري مر في المسجد الحرام فرأى أبا عبد الله عليه السلام وعليه ثياب كثيرة القيمة حسان فقال: والله لأتينه ولأوبخنه! فدنا منه فقال يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله ﷺ مثل هذا اللباس ولنا علي عليه السلام ولنا أحد من آبائك فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ﴿كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي زَمَانٍ قَتَرَ مَقْتَرٍ وَكَانَ يَأْخُذُ لِقَتَرِهِ وَاقْتِدَارِهِ وَإِنَّ الدُّنْيَا بَعْدَ ذَلِكَ أَرْحَتْ عَزَائِبَهَا فَأَحَقُّ أَهْلِهَا بِهَا أَبْرَارُهَا﴾. ثُمَّ تَلَا ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ

مِنَ الرَّزْقِ ﴿۝ وَنَحْنُ أَحَقُّ مَنَ أَخَذَ مِنْهَا مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ غَيْرَ أَنِّي يَا ثَوْرِيُّ مَا تَرَى عَلَيَّ مِنْ ثَوْبٍ إِنَّمَا أَلْبَسُهُ لِلنَّاسِ ﴿۝ ثُمَّ اجْتَدَبَ يَدَ سَفِيَانَ فَجَرَّهَا إِلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ الثَّوْبَ الْأَعْلَى وَأَخْرَجَ ثَوْبًا تَحْتَ ذَلِكَ عَلَى جِلْدِهِ غَلِيظًا فَقَالَ: ﴿۝ هَذَا أَلْبَسُهُ لِنَفْسِي وَمَا رَأَيْتَهُ لِلنَّاسِ ﴿۝

ثم جذب ثوبا على سفيان أعلاه غليظ خشن و داخل ذلك ثوب لين فقال: ﴿۝ لَبِسْتُ هَذَا الْأَعْلَى لِلنَّاسِ وَ لَبِسْتُ هَذَا لِنَفْسِكَ تَسْرُهَا ﴿۝ (٩)

هذه نماذج من الروايات وهي كما قد يتراءى لمن يطالعها أنها ذات اتجاهين متعاكسين الأول يدعو إلى التقشف والآخر إلى عدمه، والحقيقة أن هذه الروايات تتكامل مع بعضها لتنتج ضابطة لخصها أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ﴿۝ وَ مَلْبَسُهُمُ الْإِفْتِصَادُ ﴿۝.

وهذه الضابطة تعني الاعتدال في اللباس مع ملاحظة الشخص والزمان والمكان. فله أن يلبس ما يشاء ولكن لا يصل إلى درجة المترفين ولا يلحقه بأهل الخسة والدناءة.

• الاعتدال في الملبس

أولاً: الاعتدال في القيمة

تنتشر في الأسواق ما يعرف بالماركات والموديلات والدولة المصنعة وهذه لها قيمتها! وهنا لا نريد أن نقلل من الجودة ولكن الاعتدال الذي ننشده يقضي بضرورة الموازنة بين هذه ومثيلاتها في السوق، فربما يجد الإنسان ذات السلعة وبذات الجودة أو أقل بقليل قد لا يذكر مع فارق واسع في السعر مما يفرض على العاقل الراشد أن يتصرف برشد وبعيدا عن السفه فينتخب الثاني دون الأول وهكذا.

ثانياً: الاعتدال في العدد

مر علينا في سؤال إسحاق بن عمار للإمام الصادق (ع) عن تملك المؤمن عشرة أقمصة أو عشرون أو ثلاثون فأجاب الإمام (ع): ﴿ليس هذا من السرف﴾.

ولكن ينبغي أن نلاحظ أن الحكم بعدم الإسراف مشروط بحاجة الإنسان إليه، ويتضح لنا الحاجة من عدمها حين تركن الملابس بالسنوات مما يعني عدم الحاجة إليها وهذا هو عين الإسراف ويضاف إليه ترتب وجوب الخمس عليه لأنه فائض عن الحاجة وزائد على المؤونة.

• الاعتدال في الشكل والمظهر

موديلات الملابس وما يطبع على كثير منها من رسومات ونقشات غالباً ما تحمل ثقافة صانعيها ونادراً ما يكون الواصل إلينا من بلاد الغرب خالياً عن رسالة أو دعاية إلى سلعة أو فكرة أو مشروع، والأغلب يعمل ضمن نظام العولمة ويهدف فيما يهدف إلى الربح الوفير وتسويق الثقافة التي يؤمن بها وهي غالباً لا تنسجم والقيم التي بني عليه مجتمعنا الإسلامي الأصيل.

(١) التبيان في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٣٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢ ص ٤٥.

(٣) التبيان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٢٤١.

(٤) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢١٥.

(٥) مستدرک الوسائل ج ٣ ص ٢٥٧.

(٦) مستدرک الوسائل ج ٣ ص ٢٧١.

(٧) الكافي ج ٦ ص ٤٤٢.

(٨) الكافي ج ٦ ص ٤٤١.

(٩) الكافي ج ٦ ص ٤٤٣.